

مشكلة تعويم الاجتهاد في الفقه والعقائد

علي الكوراني

! الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الأفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

٢٠. تعويم الاجتهاد في جزيرة الوهابيين

من المعروف أن مصر كانت أول من تصدى للحركة الوهابية منذ نشأتها. فقد كتب علماء الأزهر وكتاب مصر مقالات كثيرة وألّفوا كتباً عديدة في رد فكر الوهابية وفقّهاها، ثم تصدت مصر سياسياً حتى أنها قامت بالحملات العسكرية المصرية المعروفة على الحجاز. وقد تواصل ذلك الصراع السياسي حتى عهد عبد الناصر، وكانت نتيجته قبل عبد الناصر عودة الروح مراراً إلى الحركة الوهابية حتى تمت لها السيطرة على الحجاز. وكانت نتيجته بعد عبد الناصر أن توجت المملكة العربية السعودية ملكة على العرب والمسلمين.

هذا ولكن نتيجة الصراع الفكري كانت بالعكس، فقد أثرت مصر على الوهابية تأثيراً كبيراً، ولم تتأثر بها إلا ضئيلاً!

لقد انحصر تأثير الوهابية على مصر رغم جهودها الضخمة بأن الوهابية ملكت في مصر شبكة مؤسسات للنشر والدعاية، وشريحة صغيرة متأثرة بأفكارها أو مرتزقة من أفكارها. وكلها مرشحة لأن تنتهي في أي وقت توقف مددها!

لكن لو لم يكن لمصر تأثير على الوهابية إلا تبني الوهابية لنظرية التعويم المصري للاجتهاد لكفى!

فمن المفارقات أن علماء المذهب الوهابي مقلدون في العقائد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومقلدون في الفقه للشيخ ابن تيمية وتلامذته، تقليداً حنبلياً. ومع ذلك فهم يحاولون أن يظهرُوا بمظهر المجتهدين المتحررين من التقاليد لمذهب معين، سواء المذاهب الأربعة أو غيرها، ولذا تراهم يرددون مقولة أن يرجع المسلم إلى مصادر الشريعة ويأخذ بما يغلب على ظنه ويجتهد ويفتي. فمن أين جاءهم فتح باب الاجتهاد هذا، إلا من مصر؟!

بل نلاحظ أن فتاواهم أكثر ميلاً إلى العصرنة. وأكثر إفراطاً في تسهيل أمر الاجتهاد من المصريين!

قد تجد في مصر معلمة تقرأ شيئاً عن الدين وتفتي لتلميذاتها. ولكن لم نسمع أن شيخ الأزهر أعطاهـا "شهادة مجتهدة" يحق لها بموجبها أن تفتي. بينما أعطت هيئة علماء الوهابيين الشهادة التالية لهذه المعلمة كما جاء في كتاب "فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء في المملكة العربية السعودية" مجلد ٥، الصفحة ٤٨ – ٤٩.

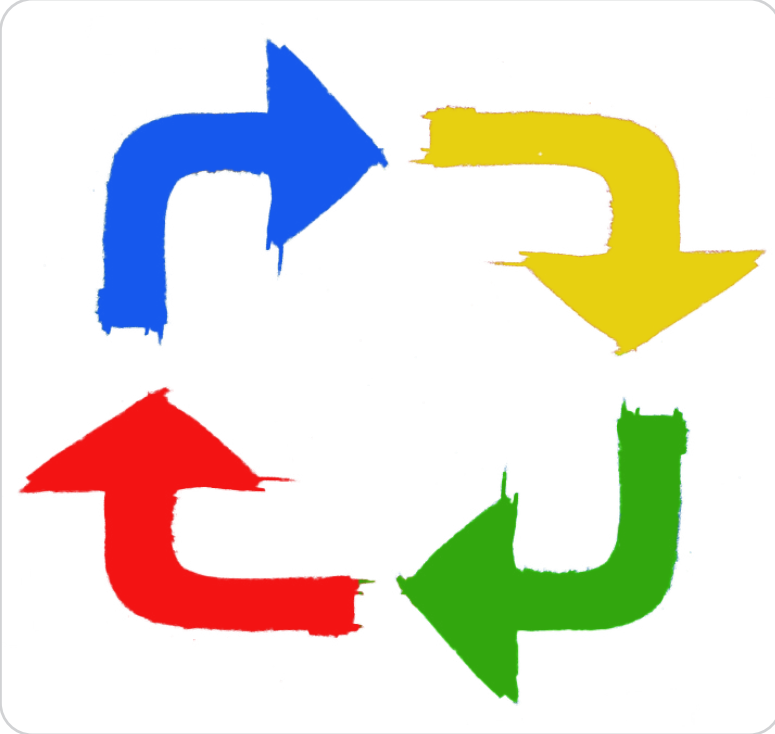
السؤال الأول من الفتوى، رقم ٢٧٩٨

س: أنا مدرسة دين متخرجة من الكلية المتوسطة قسم دراسات إسلامية وقد اطلعت على مجموعة من الكتب الفقهية، فما هو الحكم حين أسأل من قبل الطالبات فأجوبهن على حسب معرفتي أي عن طريق القياس والاجتهاد دون التدخل في أحكام الحرام والحلال؟ ج: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه، وبعد: عليك مراجعة الكتب والاجتهاد ثم الإجابة بما غلب على ظنك أنه الصواب ولا حرج عليك في ذلك، أما إذا شككت في الجواب ولم يتبين لك الصواب فقولِي لا أدري وعديهن بالبحث ثم أجيبيهن بعد المراجعة، أو سؤال أهل العلم للاهتمام إلى الصواب حسب الأدلة الشرعية. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد

وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء؛ عضو: عبدالله بن قعود؛ عضو: عبدالله بن غديان نائب الرئيس: عبدالرزاق عفيفي؛ الرئيس: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز **السؤال الثالث من الفتوى رقم ٢٤٠٠** س: هل أن من لم يحفظ ستة آلاف حديث فلا يحل له أن يقول لأحد هذا

السني على طلب العلم بالحكم أولاً، فإن لم يحصل للمجتهد علم بالحكم من الكتاب أو السنة، انتقل فوراً إلى اجتهاد الرأي، الذي يعني اتباع الظن الحاصل للمجتهد مهما كانت درجته نازلة، بل يعني الاكتفاء بما هو أقل من الظن كالمقياس والاستحسان والمصالح المرسله، التي لا تفيد غالباً أكثر من مجرد الاحتمال!



وبسبب هذا الفرق بين منهج الاستنباط تفاوت معنى الحكم الشرعي فصار معناه عندنا (ما علم أنه حكم الله تعالى بالعنوان الأولي، أو ما علم أنه حكمه تعالى لحالة الشك في الحكم) بينما صار عند إخواننا السنة (ما علمه المجتهد أو ظنه أو احتمله أنه حكم الله تعالى)! وبسبب هذا الفرق أيضاً كان معنى دليل العقل في استنباط الاحكام عندنا: حجية مدركاته القطعية فقط؛ لأنها وحدها تنهض بتنجز التكليف على المكلف وتعذير المكلف بين يدي الله تعالى. دون المدركات الظنية والاحتمالية. بينما معناه عند إخواننا السنة: حجية ما يدركه العقل إدراكاً قطعياً أو غير قطعي.

وبسببه كان معنى التقليد عند الشيعة: الالتزام بالتعبد بما وصل إليه المجتهد من علم بالحكم الشرعي، أو علم بما يجب عمله عند الشك في الحكم الشرعي. بينما معنى التقليد عند إخواننا السنة: الالتزام بالتعبد بما وصل إليه إمام المذهب أو فلان المجتهد من اختيار للحكم الشرعي عن علم أو ظن أو احتمال! وإذا عرفنا أن نسبة الأحكام التي يعتمد فيها أصحاب هذا المنهج على ظنهم واحتمالهم قد تبلغ ثلث فروع الفقه مثلاً، فذلك يعني أن ثلث ما يأخذه العوام على أنه أحكام الله تعالى ما هو إلا ظنون واحتمالات؛ لا أكثر! والأمـر ليس أفضل من ذلك في تفاصيل العقائد!!

وفي اعتقادي أن (بازار)[سوق] الظنون والاحتمالات سيبقى قائماً في مجتمعات إخواننا السنة حتى ينهض فقهاؤهم ويضعوا ضوابط علمية لهؤلاء المزدحمين في سوق الاجتهاد، وأولئك المتجهين للدخول من أبوابه الواسعة!!

٦ - مشكلة تعويم القيادة ليست أقل خطراً

من الذي له حق أن يقود المسلمين ويأمر ويهـيئ؟ من الذي له حق الحكم على أعلى مستوى، وعلى مستويات أقل؟

أما في زمن النبي ﷺ فالمسلمون متفقون على أن النبي ﷺ وحده صاحب هذا الحق.

وأما في عصرنا فالمذهب الغربي أن حق الحكم لمن غلب، مهما كانت وسائله في الغلبة! والظاهر أن مذهب إخواننا السنة تميل إلى هذا الرأي لأنها تعتبر أن من غلب وتسلط فقد صار حاكماً شرعياً وأجب الإطاعة، ولا تسأل عن سلوكه ووسائله في الوصول إلى الحكم! وإذا تبنى المسلمون تعويم حق القيادة والحكم في أعلى مستوى في الجميع، يكون ثبوته في المستويات الأقل بطريق الأولى. ومعنى ذلك أن لكل إنسان الحق في أن يتصدى للوجاهة والأمر والنهي والقيادة، على مستوى قريبته أو محلته أو محيط عمله. فإن (توفق) وأطاعه آخرون فهو (أمير) شرعي عليهم!

ومعنى ذلك أنه لا فرق بين نظرية القيادة والإمرة في الإسلام وفي الثقافة الغربية أبداً، فهي قانون المغالبة والغلبة الحاكم في الجاهلية الأولى والثانية، الذي أقره الاسلام!! ومعنى ذلك أن مجتمعاتنا سوف لا تعرف الهدوء، لأن باب الفتوى والقيادة مفتوحان على مصراعيهما، ورغبة الفتوى والقيادة ضاربة جذورها في شخصية الإنسان، وبما أن المجتمع لا يتحمل تحقيق مجموع هذه الرغبات، فلا نتيجة إلا الصراع وامتلاء المجتمع بغابة الاتجاهات والقيادات!

٧ - مذهب التشيع تحت الأضواء

فاجأ الإمام الخمينيؒ العالم بأنه استعمل في ثورته طاقة جديدة هي طاقة التشيع لأهل بيت النبي ﷺ. وذهل الغرب واتجهت أنظاره وبحوثه لمعرفة نوع هذه الطاقة وكمية مخزونها. وسلط أضواءه على التشيع وقدرته السياسية.

وبهرت الشعوب الإسلامية السنية بهذا الحدث المفرح الذي هز العالم، واتجهت أنظارها لمعرفة التشيع من ناحية عقائدية وفقهية وروحية.

وبذلك صار مطلوب الجميع: معلومات، أفكار، تحليلات، مقالات، كتب وفتاوى، عن الشيعة والتشيع. وبذلك انفتح السوق العالمي أمام الفكر الشيعي وإن كانت كتبه متنوعة. فأول الذين يقرؤونها هم الذين يمنعونها!

وكثرت الكتابات والخطابات عن عقائد الشيعة وفقههم وتاريخهم وأرائهم وشخصياتهم، من علماء وكتاب وخطباء شيعة وغير شيعة. كتابات من كل نوع، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بالتعبير المعاصر، وكثر العرض بسبب زيادة الطلب، حتى اختلط الحابل بالنابل وضاعت في كثير من الأحيان قدرة القارئ على تمييز ما هو أصيل من مذهب التشيع أو غريب عنه ملصق به.

ودخلت على الخط تأثيرات التعويم المصري للاجتهاد، فبرز المتأثرون بها من الشيعة وغيرهم يفتنون بظنونهم وينسبونها إلى التشيع!

بل وصل الأمر إلى أنهم نسبوا إليه مدرسة العمل بالظن في أمور الدين التي أسسها الخليفة عمر بن الخطاب وقاومها الأئمة من أهل بيت النبي ﷺ، مقاومة شديدة!! ولم يقتصر الأمر على الفتاوى، بل تعداه إلى عقائد الشيعة، فأرينا فيها كتابات وفتاوى متنوعة، وأحياناً متضادة خاصة في التفاصيل الأولى والثانية، وبالأخص في فهم

شعر وقصيدة

مكارم الأخلاق

•محسن حسن الموسوي

المنسوب إلى علي أمير المؤمنين عليه السلام

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَخْلَاقٌ مَظْهَرَةٌ

فَالْعَقْلُ أَوْلَاهَا وَالذِّينُ ثَانِيهَا

وَالْعِلْمُ ثَالِثُهَا وَالْجَلْمُ رَابِعُهَا

وَالْجُودُ خَامِسُهَا وَالْعَزْفُ سَادِيهَا

وَالْبِرُّ سَابِعُهَا وَالصَّبْرُ ثَامِنُهَا

وَالشُّكْرُ تَاسِعُهَا وَاللِّينُ عَاشِيهَا[باقيةا]

وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنِّي لَا أَصَدِّقُهَا

وَلَسْتُ أَزْشُدُ إِلَّا جِئْنَ أَغْصِيهَا

وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ فِي عَيْنِي مَحْدَثُهَا

مَنْ كَانَ مِنْ جَزْبِهَا أَوْ مِنْ أَغَادِيهَا

عَيْنَاكَ قَدْ دَنَّتَا عَيْنِي مِنْكَ عَلَى

أَشْيَاءَ لَوْلَاهُمَا مَا كُنْتُ تُبْدِيهَا

نصيحة نفسية



نحن نخاف من الشيء الذي لم نجربه، ونطمئن من الشيء الذي سبق تجربته، فإذا كانت تجاربنا محدودة وحركتنا ضيقة فستكون خبراتنا محدودة أيضاً وعليه سيكون مساحة ما نخافه أوسع مما نطمئن إليه، لذلك لتقليل مخاوفنا علينا أن نوسع تجاربنا، نتعلم الجديد في الحياة، هذا يجعل حياتنا أكثر جودة وأقل مخاوفاً.



نرحب بآراء القراء الأعزاء

عبر البريد الالكتروني التالي

Alafagh1444

@gmail.com

المصدر: موقع علي الكوراني